

Al-Zaytouna Centre  
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة  
للدراسات والاستشارات

Conference on  
**The Islamists of the Arab World  
& the Palestinian Issue**  
in Light of the Arab Uprisings

مؤتمر  
**الإسلاميون في العالم العربي  
والقضية الفلسطينية**  
في ضوء التغيرات والثورات العربية

ورقة عمل

**الإسلاميون في تونس والقضية الفلسطينية  
(حزب النهضة نموذجاً)**

أ. رياض الشعبي



Crowne Plaza - Beirut - Lebanon  
28- 29 November 2012

فندق كراون بلازا - بيروت - لبنان  
28-29 تشرين الثاني / نوفمبر 2012

## الإسلاميون في تونس والقضية الفلسطينية (حزب النهضة نموذجاً)

### أ. رياض الشعبي\*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،  
والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

"القدس آية من الكتاب من ضيعها فقد ضيع الكتاب"<sup>1</sup>، يختزل هذا الشعار فهماً عميقاً للقضية الفلسطينية، وما يحفها من حيثيات كثيرة، وما يستدعيه العمل على تحريرها من اجتهاد وجهاد كبيرين.

فلم تكن قضية تحرير فلسطين في وعينا الإسلامي مجرد عنوان في لائحة حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، إنما هي القضية المركزية في فكر الحركة الإسلامية بتونس، وثقافتها منذ نشأتها بداية السبعينيات من القرن الماضي. غير أن حضور القضية الفلسطينية في النضال السياسي التونسي يعود إلى أبعد من ذلك، إلى مواقف العلماء التونسيين، الذين رفضوا وعد بلفور، وأفتوا بواجب الجهاد لتحرير فلسطين، حتى إن أحد أهم زعماء المقاومة المسلحة<sup>2</sup> ضدّ الاستعمار الفرنسي لتونس ما أطلق طلقة واحدة في تونس إلا بعد أن خاض فصلاً كاملاً من الجهاد ضدّ الصهاينة في حرب<sup>3</sup> 48.

وعندما وقع الإعلان عن قرار التقسيم الأممي في 1947/11/29، بادر جامع الزيتونة الأعظم وفروعه بإعلان الإضراب العام مع دعوة تجار العاصمة ومختلف مدن البلاد إلى إغلاق محلاتهم. كما انطلق إضراب طلبة جامع الزيتونة في 1947/10/12 وتواصل إلى 1947/12/4<sup>4</sup>.

\* أ. رياض الشعبي: عضو المكتب السياسي في حركة النهضة.

<sup>1</sup> شعار أطلقه الشيخ راشد الغنوشي للتعبير عن أهمية القدس في الصراع الدائر في المنطقة.

<sup>2</sup> الزعيم لزهر الشرايطي الذي أعدمه بورقيبة بعيد الاستقلال، بعد أن عجزت فرنسا عن إعدامه أيام الاستعمار المباشر.

<sup>3</sup> كان التطوع للجهاد من قبل التونسيين أسمى أشكال مساندة الشعب الفلسطيني خلال حرب 48. كانت عملية التطوع مؤطرة من قبل مختلف القوى الوطنية مما جعل عدد المتطوعين يبلغ 2,230 في تموز/ يوليو 1948 مع 338 تونسياً قبضت عليهم سلط الحماية بالجنوب التونسي. وقد جاء في تقرير المقيم العام "لقد تمكنت الفرقة الأولى التونسية الليبية من بلوغ بيتكم والدخول في المعركة ضدّ القوى الصهيونية، وقد أسفرت هذه المعارك التي دارت خلال النصف الأول من حزيران/ يونيو عن مقتل أحد عشر متطوعاً تونسياً (تقرير المقيم العام الفرنسي بتونس جون مونس في 1948/7/15 إلى الحكومة الفرنسية).

<sup>4</sup> ألقى الشيخ الفاضل بن عاشور محاضرة بالخلدونية يوم 1947/12/3 عنوانها "فلسطين الوطن القومي للعالم العربي" بين فيها دور بريطانيا في الصراع العربي الصهيوني. وفي يوم 4 كانون الأول/ ديسمبر نظم أساتذة الزيتونة بمعية المنظمات الإسلامية بتونس تجمعاً شعبياً ضخماً بجامع الزيتونة حضره أكثر من 3,000 شخص وأكد خلاله الشيخ الشاذلي بن

أما السلطة الاستعمارية الفرنسية في تونس فقد أقلقها نشاط المتطوعين وخاصة المناضل الصادق بسيس الذي أوقفته بتهمة جمع التبرعات لمساعدة الفلسطينيين دون ترخيص مسبق وعرضته على المحكمة في 1948/6/25<sup>5</sup>.

لكن بالرغم من ذلك لم يتوقف مدد التعبئة لفلسطين والإسهام في الجهاد لتحريرها، حتى أضحت القضية الفلسطينية عامل تجميع لمختلف القوى السياسية في البلاد، تتنافس في الانتصار لها تعبيراً مبدئياً عن الاستشعار لأهمية هذه القضية وحضورها في مختلف تقاطعات الصراعات البينية السياسية، والإيديولوجية، الداخلية منها والخارجية، ولكن أيضاً باعتبارها أحد المحركات الرئيسية لمعركة الحرية والكرامة ضد أنظمة الفساد والاستبداد.

وكما يقول الشيخ راشد الغنوشي لقد كان تبني الدفاع عن القضية الفلسطينية شرط تسليم المواطنين مهمة قيادة الحركة الوطنية في تونس لأطراف دون غيرهم قبل الاستقلال وبعده<sup>6</sup>. بل إن أحد أهم اختبارات المصادقية في ضمير الشعب التونسي ترتبط بحقيقة الموقف من القضية الفلسطينية، حيث عمقَ هذا الالتزام النضالي الوعي السياسي عند فئات واسعة من النخب التونسية.

فلقد مثل خيار دعم القضية الفلسطينية علامة على طبيعة علاقة هذا الطرف أو ذاك بالسلطة القائمة خلال فترة الحكم البورقيبي أو فترة حكم بن علي. إذ إن طبيعة الموقف من هذه القضية عامل رئيسي في نسج أو قطع الصلات مع الطرف الحاكم في نوع من الفرز السياسي بين معسكرين في تونس: معسكر الاستسلام للتسويات الخارجية والخضوع لإرادة الدول الكبرى، ومعسكر الانتصار للحقوق الثابتة والتمسك بها.

وقد شهدنا تظاهرات لهذا الفرز على امتداد تاريخ تونس المعاصر، بداية من التناقض بين دعوة بورقبيبة لتقسيم فلسطين، وبين انتشار الوعي داخل الشعب التونسي ثقافة وحدوية تدافع عن حقّ الفلسطينيين في أرضهم كاملة. ثمّ المواقف الرسمية المترددة في دعم حرب 73 عندما كان

---

القاضي على ضرورة جمع الأسلحة، والأموال، والرجال للقيام بالواجب المقدس نحو فلسطين العربية مع التهجم على اليهود.

<sup>5</sup> قال المقيم العام في تقريره الشهري إلى وزارة الخارجية الفرنسية: "إن أوساط جامع الزيتونة هي المسؤولة بدرجة أولى عن حالة التوتر التي تعيشها البلاد... لقد أوجد الزيتونيون واقعاً متفجراً بجمعهم التبرعات وانتداب المتطوعين في كامل البلاد".

<sup>6</sup> جاء ذلك في كلمة الشيخ راشد الغنوشي التي ألقاه في المؤتمر التأسيسي للائتلاف المغربي لنصرة باب المغاربة في تونس العاصمة في 2012/11/9.

الضمير الشعبي كله ينتصر للعروبة والإسلام في معركة تحرير سيناء، ويرسل قوافل المتطوعين التونسيين للمشاركة في الحرب، ولم يختلف الأمر عند اجتياح لبنان. بل مثل اختلاط الدم التونسي بالدم الفلسطيني في العملية الإرهابية التي شنها الطيران الصهيوني على منطقة حمام الشط، إحدى ضواحي تونس العاصمة، أبلغ تعبير عن هذا الارتباط التونسي الفلسطيني حياة وموتاً.

وفي الوقت الذي كان الشعب التونسي يخوض معركته ضدّ استبداد بورقيبة ويطالب بإسقاطه سنة 1987، كانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى تأخذ طريقها، راسمة طريق المجد لأطفال الحجارة، في نوع من التخاطر الثوري بين الشعبين التونسي والفلسطيني. ولما وقع الانقلاب على بورقيبة من طرف بن علي، كان الكيان الصهيوني أول المرشحين والداعمين لهذا التغيير باعتباره سيحرم القضية الفلسطينية من دعم استراتيجي مؤكد مع وصول كان منتظراً للحركة الإسلامية إلى السلطة حينها.

وبالرغم من آلة القمع العاتية، وانخراط نظام بن علي بوضوح ضمن الاستراتيجية الصهيونية في المنطقة العربية إلا أن مشاركة الشباب التونسي المتطوع، على اختلاف انتماءاته، في عمليات المقاومة لم يتوقف، وكنا نحصي شهداء تونسيين في محطات زمنية متعاقبة<sup>7</sup>. والملفت هو انتشار التجسس الصهيوني على الأراضي التونسية خلال تلك المرحلة وفي أجهزة حكم بن

<sup>7</sup> هذا استعراض بسيط لبعض أسماء الشهداء التونسيين في فلسطين وجنوب لبنان:

- الشهيد ميلو بن ناجح، عامل، استشهد مع رفيقه خالد الأكرفي في 1987/11/27 خلال قيامهم بعملية الطائرات الشراعية الشهيرة، التي قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، بقيادة أحمد جبريل، ضدّ معسكر قوات الكومندوس الصهيوني.
- الشهيد عمران بن الكيلاني المقدمي استشهد في 1988/4/26 في عملية في إصبع الجليل، شمال فلسطين المحتلة.
- الشهيد خالد بن صالح الجلاصي، عامل، استشهد في 1988/9/28 في عملية بطولية في منطقة المنارة في الجليل الأعلى شمال فلسطين المحتلة، انطلاقاً من جنوب لبنان.
- الشهيد فيصل الحشاشي، طالب، استشهد في 1993/7/8 إثر مشاركته في عملية فدائية ضدّ دورية صهيونية في منطقة العيشية في جنوب لبنان على مشارف فلسطين. =
- = - الشهيد سامي بن الطاهر الحاج علي، طالب، استشهد في 1995/1/19 حيث كمن بصحبة رياض بن جماعة ورفاق لهما لقافلة صهيونية على الطريق الواقعة بين بلدة الطيبة اللبنانية ومستوطنة مسكافعام في فلسطين المحتلة، وذلك يوم الخميس.
- الشهيد رياض بن الهاشمي بن جماعة، طالب، استشهد في 1995/1/19 في عملية ببلدة الطيبة.
- الشهيد كمال بن السعودي بدري، طالب، استشهد في 1996/1/27 في عملية في منطقة السريرة، قضاء جزين.
- الشهيد بليغ بن محمد أنور اللجمي، طالب، استشهد في 1996/1/27 في عملية فدائية في منطقة السريرة - قضاء جزين.

علي العلياً<sup>8</sup>، وفي تواطؤ مفضوح مع السلطات الرسمية، ما أدى إلى اغتيال القائد المناضل أبو جهاد، لكن هذا التجسس الصهيوني دعم دون أدنى شك نظام بن علي في تصفية الحركة الإسلامية خلال عقدين من الزمن، وكنا نلمس أثره في مفاصل نضالية وسياسية عديدة<sup>9</sup>. ومرة أخرى الأيادي التي تتورط في الدم الفلسطيني هي نفسها التي تستحل دماء التونسيين الأحرار، حيث قضى أكثر من 150 شهيداً، واعتقل ثلاثون ألف مناضل، ونفي ما يقارب ثلاثة آلاف، شردوا بين خمسين دولة من دول العالم.

### ثوابت رؤيتنا للقضية الفلسطينية<sup>10</sup>:

- إن القضية الفلسطينية قضية عادلة تتعلق بتحرير الأرض من الاحتلال الاستيطاني الصهيوني، وإعادة اللاجئين إلى منازلهم الأصلية، وإعادة الاعتبار للأماكن المقدسة، والرموز الدينية، الإسلامية منها والمسيحية.
- إن تحرير الأراضي الفلسطينية يتموقع في جوهر إعادة البعث الحضاري لأمتنا العربية والإسلامية وشرطاً ضرورياً من شروط تحقق ذلك. فالقدس برمزياتها الدينية والتاريخية لا يجوز التفريط فيها وإلا فرطت الأمة بذلك في جزء لا يتجزأ من دينها وعزتها.
- إن القضية الفلسطينية تتضمن حقوقاً تاريخية ودينية، تعود للأمة الإسلامية عامة وهي مسؤولة عن المطالبة بها، وملزمة بتوفير الدعم الضروري لكل عمل يهدف لاستعادتها.
- إن القضية الفلسطينية تنتزل ضمن الأولويات الملحة لأي مشروع نهضوي، وموجه مهم لاستراتيجية عمل الحركة الإسلامية.
- إن حقّ الشعب الفلسطيني في النضال لتحرير أرضه مكفول بالاعتبارات الإنسانية، والقيمية، وبالمواثيق الدولية المتعارف عليها، بما في ذلك حقه في المقاومة بكلّ الوسائل الممكنة.

<sup>8</sup> أكتُشِفَ أن المدير العام للأمن الوطني ومسؤولين آخرين متورطون في الاشتغال لصالح الكيان الصهيوني، وبالرغم من مطالبة المتهمين بمحاكمات علنية كانوا ينون فيها كشف أسماء قيل حينها إن من بينها ليلي بن علي زوجة الرئيس إلا أن صفقة عقدت معهم بالرغم من احتجاج الدفاع تقضي بإجراء محاكمة في قاعة مغلقة مقابل أحكام مخففة لم تتجاوز الثلاث سنوات سجناً.

<sup>9</sup> فتحت سلطات بن علي مكتب لرعاية المصالح المشتركة في تونس مع الكيان الصهيوني، كما أن بن علي كان يسارع بالالتقاء بزعماء اللوبيات الصهيونية في العالم كلما تعرض لضغوط سياسية، وحقوقية دولية طلباً لدعمهم.

<sup>10</sup> جاء في البيان الختامي للمؤتمر التاسع لحركة النهضة، البند 15: "تعتبر حركة النهضة أن القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة وتقف بقوة إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير أرضه مع تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني".

## ثوابت رؤيتنا من منظور حضاري:

لم ينتظر القرآن الكريم اندلاع الحروب الصليبية، ولا الاحتلال الاستيطاني الصهيوني للأراضي الفلسطينية حتى يؤكد على أهمية، ومكانة، وقدسية هذه الأماكن. فقد تراوح النصّ القرآني بين القصّ والاعتبار بالتجربة التاريخية، والإشارة للمكانة الدينية لبيت المقدس وأكناف بيت المقدس، واستشراف مستقبل الصراع حول هذه المنطقة.

فقد تعددت الآيات التي تعرضت للقدس، إما لكونها قبلة أولى للمسلمين، أو لصلتها بأحداث غيرت وجه الإنسانية، وارتبطت بعدد من الأنبياء والرسل، وإما للتنبيه للأهمية الرمزية وحتى لأهميتها الجيو-استراتيجية كما سيأتي لاحقاً.

فقد قال تعالى:

● سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. [الإسراء: 1].

وقد ورد في التفسير أن المقصود بيت المقدس الذي بإيلياء، حيث أمّ الأنبياء فكان بينهم الإمام المعظم والرئيس المقدم.

● وَنَجِّنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. [الأنبياء: 71].

وما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أيّ مسجد وضع في الأرض أول؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى"، قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة". وهذا كان قبل بعثة موسى عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام مثلما رفع مع إسماعيل عليه السلام القواعد من البيت فإنه هو الذي حدد مكان المسجد الأقصى بأمر من الله سبحانه وتعالى. فقال فيه الحقّ تبارك وتعالى:

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. [آل عمران: 67].

في الحديث الصحيح أن "بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر"، وأن "عقر دار الإسلام بالشام".

والنصوص التي تبين الأهمية الدينية، والتاريخية لبيت المقدس أكثر من أن تحصى، وقيمتها الاعتبارية عند عموم المسلمين، طوال تاريخهم، لها أبرز دليل على الأهمية الحضارية لهذه المنطقة. فقد كانت محجة المسلمين، ووجهة العلماء، والمريدين على السواء، ولا شك أن في

مأثرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي جعل العديد من أراضيها وفقاً لكل الأمة المسلمة، أهمية كبيرة في تعلق قلوب المسلمين بهذه الأرض، التي لا يجد فيها أيّ مسلم نفسه غريباً عن دياره، ذلك أن له حقاً تاريخياً ثابتاً فيها.

فالشام إذن في عمومها، وأرض المقدس وفلسطين باعتبارها قلب هذه المنطقة ذات بعد حضاري مهم في تاريخ المسلمين، وفي مستقبلهم بما جاء في النصوص الصحيحة، بل جعل الله من علامات قيام الساعة ظهور بعضها من هذه المنطقة<sup>11</sup>.

وإننا إذ نتابع التاريخ الإسلامي، نتوقف عند محورية بيت المقدس، وبلاد الشام عموماً في نقاط تاريخية رئيسية، حددت بشكل رئيسي مسار هذا التاريخ. ونرى كيف أن العلاقات الدولية تشتد وتوتر كلما اقتربت من هذه المنطقة، وكأن أهم القضايا الدولية تتجمع هنا على عتبة بيت المقدس فتصطدم بها، ثم تعود خائبة يائسة، لا شيء إلا لأن حضارة المسلمين تحول دون التطبيع النهائي مع الظلم، والاستسلام لإرادة المحتلين.

### ثوابت رؤيتنا من منظور استراتيجي:

تحدد الاستراتيجية بالنظر إلى عدة اعتبارات خاصة عوامل التاريخ والجغرافيا، وهي ذاتها العوامل المحددة لرؤيتنا للقضية الفلسطينية من منظورنا الاستراتيجي:

● تاريخياً: لم يكن الصراع على فلسطين جديداً في تاريخ المنطقة، وإذا كانت الحروب الحديثة خاصة تندلع لأسباب اقتصادية، أو أمنية، أو عرقية، أو قومية فإن الصراع على فلسطين لم يكن خاضعاً لهذه الاعتبارات مطلقاً. حتى إن الدول الاستعمارية قد اتفقت في معاهدة سايكس-بيكو على جعلها منطقة دولية غير خاضعة لجهة دون أخرى، لولا تراجع بريطانيا عن ذلك فيما بعد.

فقد شهدت هذه الأرض أهم الأحداث التاريخية الدينية والسياسية. كذا كان الأمر مع بني إسرائيل حيث قال الله عز وجل فيهم:

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا. [الإسراء: 4-5].

<sup>11</sup> صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر فيقول الحجر يا مسلم هذا زفر يختبئ وراءه تعال فاقتله".

ثمّ وبعدها انحرف الروم عن دينهم، وحرفوا الإنجيل أذن الله للمسلمين بفتح بيت المقدس فدخلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعلن بداية العهد الإسلامي. لكن في أثناء ضعف المسلمين، وتراجع سلطانهم جاءت الحروب الصليبية، التي انتهت بانتصار المسلمين مرة أخرى. وأخيراً وبالرغم من رفض السلطان عبد الحميد التفریط في هذه الأرض المباركة، فإن ذلك لم يحل دون سلبها من طرف الحركة الصهيونية بدعم كامل من القوى العظمى.

● **الأهمية الجيو-سياسية:** تقع فلسطين في تقاطع ثلاث قارات (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، وفي رابط ترابي استراتيجي بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، مما جعلها مدار صراعات عديدة، وخاصة بين المسلمين من جهة، والمسيحيين الأوروبيين من جهة ثانية، ثمّ من بعدهم مع الحركة الصهيونية. وحرص القوى الكبرى على استمرار هيمنتها على هذه المنطقة من خلال الآلة الصهيونية يعود إلى تمسكها باستمرار تفوقها على كل المنطقة العربية، والحيلولة دون استعادتها لدورها الحضاري.

لقد مثلت السيطرة على هذه المنطقة بالنسبة لمختلف القوى الكبرى أهمية رمزية واستراتيجية كبيرة، لذلك تتموقع القضية الفلسطينية ضمن أهم مفاصل العلاقات الدولية، وفي قلب الصراع، من أجل الحرية، والكرامة لأمتنا الإسلامية.

### ثوابت رؤيتنا من منظور إنساني وحقوقى:

مثمّا يرى الأستاذ منير شفيق فإن القضية الفلسطينية تخرج عن التصنيفات التقليدية لقضايا التحرر، وكلما بان تشابه بينها وبين قضايا الدول المستعمرة أو التي تعاني من التمييز العنصري إلا وكان الفرق شاسعاً بينها. لكن وبالرغم من الظلم الكبير الذي عانت منه القضية الفلسطينية فإن العديد من القرارات الدولية عبرت عن تعاطف إنساني كبير مع حقوق الشعب الفلسطيني، واستطاعت أن تتجاوز كلّ الضغط الذي مارسته القوى الكبرى لصالح الكيان الصهيوني.

لقد مثل وعد بلفور الذي قدمته بريطانيا للحركة الصهيونية أكبر مظلمة في حقّ الشعب الفلسطيني، بل وزادت على ذلك بأن ضمنت هذا الوعد ضمن قرار عصبة الأمم القاضي بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني. وهو الوعد القاضي بتأسيس دولة قومية لليهود على أرض فلسطين.

لكن ذلك لم يثنِ الفلسطينيين عن رفض ومقاومة هذا القرار، من خلال الاحتجاج والتظاهر، ثمّ الثورات، التي من أبرزها ثورة عز الدين القسام المسلحة سنة 1935 وثورة سنة 1936. ومنذ



البداية وعت الأمة الإسلامية خطورة القرار البريطاني؛ لذلك انطلقت الجهود للتصدي له واعتبرت الحالة الفلسطينية منفردة من بين كلّ المناطق العربية، والإسلامية المستعمرة.

ونتيجة لتأثيرات داخلية وخارجية التحقت الولايات المتحدة الأمريكية بالاستراتيجية الصهيونية حيث أصدر الكونجرس سنة 1944 قراراً بتشجيع الهجرة غير المحددة، وتأسيس دولة يهودية. وبعد المصادقة على قرار تقسيم فلسطين سنة 1947 من طرف هيئة الأمم المتحدة إلى دولة عربية، وأخرى يهودية، إلى جانب منطقة القدس الدولية أعلنت الحركة الصهيونية سنة 1948 عن قيام "دولة إسرائيل"، فشرعت في تقوية جيشها، ومصادرة أراضي الفلسطينيين، وتشريدهم.

وبالرغم من الحروب العديدة التي شهدتها المنطقة بداية من حرب 1948، ثم 1956، ثم 1967، ثم حرب الاستنزاف، ثم حرب 1973، وعمليات المقاومة المتفرقة في كلّ أنحاء العالم، والمقاومة انطلاقاً من جنوب لبنان، إلا أن الحقوق الفلسطينية المسلوبة لم يتمّ استعادتها إلى الآن. بل وخلال مراحل من الصراع استطاع الكيان الصهيوني أن يتوسع على حساب الأراضي العربية، وأن يطرد مزيداً من الفلسطينيين من أرضهم، وكان علينا أن ننتظر نهاية الثمانينيات لتبدأ عمليات الانكماش، تحت ضغط الانتفاضات المتتالية، وذلك بالانسحاب من غزة.

وبعد مسيرة نضالية لحوالي ثمانية عقود تحافظ القضية الفلسطينية على شرعية مطالبها خاصة في حقّ الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه، وطرد الصهاينة منها، وإدارة وطنه التاريخي بعيداً عن كلّ وصاية أجنبية، وحقّ الفلسطينيين في العودة إلى منازلهم الأصلية، والتمتع بالتعويض لما لحقهم من أذى مادي ونفسي. كما أن ما حصل من انتهاكات لحقوق الإنسان الفلسطيني من طرف الكيان الصهيوني يستدعي محاسبة المجرمين، وجبر الضرر بالنسبة للضحايا.

### **القضية الفلسطينية في ضوء متغيرات الربيع العربي:**

مثلت ثورات الشعوب العربية المتتالية أفضل ردّ على المقاربات التي تجزّئ القضايا العربية إمّا قطرياً، وإمّا نوعياً. فالجماهير التي خرجت تنادي بإسقاط الأنظمة المستبدة كانت في نفس الوقت تردد "الشعب يريد تحرير فلسطين"، و"الشعب يريد رفع الوصاية الأجنبية"، و"الشعب يريد العيش الكريم"، في تلازم بيّن بين القضايا السياسية والقضايا الاقتصادية والشأن القطري، والشأن القومي، حيث جاء في البيان الختامي للمؤتمر التاسع لحركة النهضة:

"إن الغضب العربي الذي حرك الثورات العربية غضب عميق بعيد الأغوار يتجمع فيه الإحساس الغائر بالغبن الحضاري، والقهر السياسي، والحيثف الاقتصادي، واستنفاد الدولة القطرية لما بعد الاستقلال لآخر رمق من شرعيتها المهزوزة أصلاً".

بل لظالما كانت الشعوب العربية تعدّ النظام الرسمي العربي خائناً للقضايا الوطنية العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية. وبالتأكيد إن أحد العوامل الرئيسية لنقمة الشعوب على حكامها مبني على مواقفه اللاوطنية واللاشعبية تجاه مسائل التسوية، والتطبيع، والمقاومة.

وفي علاقة جدلية بين القضية الفلسطينية، وبقية القضايا العربية برز منظور سياسي يرى أن تحقيق الحرية والكرامة لهذه الشعوب يُعدّ الخطوة الأولى لتحرير فلسطين، بل ما كان للثورات العربية أن تنجح في إسقاط الاستبداد، والفساد لولا صمود القضية الفلسطينية أمام كلّ محاولات التسوية الظالمة. فصمود الفلسطينيين ومقاومتهم كانت تزرع الأمل في كيانات الأمة وتحيي فيها الهمم العالية، والسعي الدؤوب لإنجاز عملية التغيير.

لذلك وعلى المستوى النفسي لم يكن من السهل تفسير التأثير الجدلي بين القضية الفلسطينية وبقية القضايا العربية، لكن ومهما كان هذا التفسير فإن النتيجة البارزة تؤكد التلازم بين كلّ القضايا العربية، السياسية منها، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، الداخلية والخارجية. وبالمجمل نقول إن تحديات البناء الذاتي من خلال تحقيق شعاري الحرية والكرامة لا تتفصل عن المسألة الوطنية المتمثلة في تحرير فلسطين، واستقلالية القرار السيادي للنظام السياسي العربي الجديد.

وما حضور رموز المقاومة، وقادتها في تونس بعد الثورة<sup>12</sup> وانتشار الجمعيات الداعمة إلا تعبير عن هذا الترابط بين تحرر الشعوب العربية، وتفعيل دورها في مناصرة القضية الفلسطينية<sup>13</sup>.

كما أن الموقف الرسمي التونسي الذي اتخذته الحكومة في أثناء الاعتداء الأخير على غزة كان واضحاً ومباشراً في التزامه بمساندة الأخوة الفلسطينيين. فقد زار وفد وزاري برئاسة وزير الخارجية، وممثل لرئيس الدولة، ومجموعة من الوزراء، غزة تحت القصف، وعبر عن الموقف التونسي الذي ينبه إلى أن سياسات الاعتداء الصهيوني التي كانت تستند إلى صمت النظام

<sup>12</sup> وخاصة الأخ خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، والأخ إسماعيل هنية، رئيس الحكومة الفلسطينية.

<sup>13</sup> مثال ذلك أيضاً ما تعيشه تونس من مهرجانات وتظاهرات متتالية على غرار مؤتمر الأسرى الفلسطينيين الذي احتضنته تونس العاصمة وبرعاية حكومية رسمية.

الرسمي العربي يجب أن تنتبه إلى أن الثورات العربية جاءت بحكومات جديدة لن تتأخر عن  
مساندة الشعب الفلسطيني لمقاومة العدوان.